غض البصر

روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والجلوس على الطرقات» ، فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: «فإذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها»، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر».

امرك الله عز وجل بغض البصر عمن ترى من النساء وأمر كل رجال الدنيا أن يغضوا أبصارهم عن نسائك .

إنها المعادلة الهامة واستمع لهذه لقصة قال صاحب تفسير "روح البيان" (٤/ ١٥٠): "حكى أنه كان رجل سقاء بمدينة بخارى يحمل الماء الى دار صائغ مدة ثلاثين سنة وكان لذلك الصائغ زوجة صالحة في نهاية الحسن والبهاء فجاء السقاء على عادته يوما وأخذ بيدها وعصرها فلما جاء زوجها من السوق قالت ما فعلت اليوم خلاف رضى الله تعالى فقال ما صنعت فألحت فقال جاءت امرأة الى دكاني وكان عندي سوار فوضعته في ساعدها فاعجبني بياض يدها فعصرتها فقالت الله اكبر هذه حكمة خيانة السقاء اليوم فقال الصائغ أيتها المرأة انى تبت فاجعليني في حل فلما كان من الغد جاء السقاء وتاب وقال يا صاحبة المنزل اجعليني في حل فان الشيطان قد أضلني فقالت امض فان الخطأ لم يكن إلا من الشيخ الذي فى الدكان فاقتص الله منه في الدنيا".

وينسب للشافعي :

من يزني في بيت بألفي درهمٍ... في بيته يُزنى بغير الدرهمِ

نتكلم عن الأدب الأول من آداب الطريق وهو غض البصر:

<u>الآيات الواردة في «غض البصر»</u>

{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ (٣٠)
وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا ما ظَهَرَ مِنْها}

وجه الله تعالى الأمر للمؤمنين والمؤمنات بغض البصر وهذا من باب التنبيه بالأعلى على الأدني كقوله تعالى: "يا أيها النبي اتق الله " وعليه فمن هم دون المؤمنين من المسلمين والعصاة أولى بالغض منهم.

قال الله تعالى ﴿ :قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[النور:٣٠] ولم يقل: (يغضوا أبصارهم)؛ لأن هناك نظراً جائزاً كنظر الرجل إلى زوجته، ونظر القاضي إلى الشاهد، ونظر الخاطب إلى المخطوبة، ونظر الطبيب إلى المريضة عند الحاجة، فهذا من النظر الجائز المباح استثناه الله تعالى، وقال﴿ :قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾]النور:٣٠.[

جمع -سبحانه - بين غض البصر وحفظ الفرج، باعتبارهما كالسبب والنتيجة، إذ أن عدم غض البصر كثيرا ما يؤدى إلى الوقوع فى الفواحش، ولذا قدم -سبحانه - الأمر بغض البصر، على الأمر بحفظ الفرج.

كما قال الشاعر

كل الحوادث مبداها من النظر *** ومعظم النار من مستصغر الشررِ
كم نظرةٍ فتكت في قلب صاحبها *** فتك السهام بلا قوس ولا وترِ؟
والعبد مادام ذا عين يقلبها *** في أعين الغيد موقوفاً على الخطرِ
يسر مقلته ما ضر مهجته *** لا مرحباً بسرورٍ عاد بالضررِ

قال تعالي: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}

* قال ابن عباس في هذه الآية: هو الرجل يكون في القوم فتمر به المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها فان رأى منهم غفلة نظر إليها فان خاف أن يفطنوا إليه غض بصره وقد اطلع الله عز وجل من قلبه أنه يود لو نظر إلى عورتها.

فلا تجعل أخي الحبيب الله أهون الناظرين إليك وعليك بالمسارعة إلى التوبة والعودة والعلاج من هذا المرض.

<u>الأحاديث الواردة في (غض البصر)</u>

اخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناهما البطش، والرجل زناها الخطأ والقلب يهوي ويتمني ويصدق ذلك الفرج ويكذبه ".

فبدا الرسول صلى الله عليه وسلم بزنى العين؛ لأنه اصل زنى اليد والرجل والقلب والفرج وهذا الحديث من أبين الأشياء على أن العين تعصى بالنظر وأن ذلك زناها .

* عن عبادة بن الصّامت- رضي الله عنه-، أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اضمنوا لي ستّا من أنفسكم أضمن لكم الجنّة: اصدقوا إذا حدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضّوا أبصاركم، وكفّوا أيديكم»)

(عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- أنّه قال: قال لنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يا معشر الشّباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج؛ فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم؛ فإنّه له وجاء»)

سماه النبي خبيث

(عن جرير بن عبد الله- رضي الله عنه- أنّه قال: سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري)

(عن بريدة الأسلميّ- رضي الله عنه- أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعليّ: «يا عليّ، لا تتبع النّظرة النّظرة؛ فإنّ لك الأولى وليست لك الآخرة»)

قال ابن القيم:

مثل الرجل الذي يتبع النظرة الأولى الثانية ولا يغض الطرف عما حرم عليه كمثل رجل ركب فرسًا جديدًا فمالت به إلى درب ضيق أخره عطبه، هذه الدرب ضيق بحيث ينفذ فيه هذا الفرس بصعوبة وإذا دخل فإنه لا يستطيع أن يستدير فيه فإذا همت بالدخول فيه فاكبحها لئلا تدخل فإذا دخلت خطوة أو خطوتين فصيح بها وردها إلى الوراء عاجلاً قبل أن تتمكن من الدخول فإن رددتها على الوراء سهل الأمر وإن توانيت حتى ولجت (دخلت) وسقتها داخلاً ثم قمت تجذبها بذنبها عسر عليك أو تعذر خروجها فهل يقول عاقل إن طريق تخليصها سوقها إلى الداخل؟

<u>من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في (غض البصر)</u>

(قال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه: «حفظ البصر أشدّ من حفظ اللّسان» .

(قال ابن مسعود- رضي الله عنه- «الإثم حوّاز القلوب، وما من نظرة إلّا وللشّيطان فيها مطمع)

حواز: يعني ما يحوزها ويغلب عليها حتى ترتكب ما لا يحسن. وقيل بتخفيف الواو وتشديد الزاي جمع حازة وهي الأمور التي تحز في القلوب.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: "مِنْ تضييع الأمانة النظر في الحجرات و الدور".

قال سلمان رضي الله عنه: "أن أموت ثم أنشر، ثم أموت ثم أنشر، ثم أموت ثم أنشر، أحب إليَّ من أن أرى عورة مسلم أو أن يراها مني".

وعن حمَّاد بن زيد قال سمعت أبي قال: "لَرُبَّ نَظرَةٍ لأن تَلقَى الأسَدَ فيأكُلَكَ خَيرٌ لك منها".

قال الإمام أحمد: "كم من نظرة ألقت في قلب صاحبها البلايا".

عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال: "ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء" .

قال ابن القيم: "إذا عَرَضَت نَظرَةٌ لا تَحِلُّ، فاعلم أنها مِسعَرُ حَربِ فاستتر منها بحِجَابِ: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}(النور:٣٠) فَقَد سَلِمتَ مِن الأثَر، وكفى اللهُ المؤمنين القتال".

قال ابن الجوزيِّ:"أكثَرُ فَسَاد القلب مِن تَخلِيطِ العين: ما دام بَاب عَينِ البَصَر مُوثَقَاً فَالقَلبُ سَليمٌ مِن كُلِّ آفَّة، فإذا فُتِحَ طَار الطَّائرُ، وَرُبَّمَا لمْ يَعُد بَعد".

<u>بعض الآثار عن السلف في غض البصر:</u>

وعن وكيع قال: "خرجنا مع سفيان الثوري في يوم عيد فقال: إن أول ما نبدأ به في يومنا غض أبصارنا".

وقال أبو حكيم: "خرج حسان بن أبي سنان يوم العيد، فلما رجع، قالت له امرأته: كم من امرأة حسنة قد نظرت اليوم؟ فلما أكثرت، قال: ويحك ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك".
قال ابن سيرين: إني أرى المرأة في المنام فأعرف أنها لا تحل لي فأصرف بصري عنها.
كان الربيع بن خثيم معروفًا بجماله، كان جميلاً كأشد ما يكون الجمال، وكان عُمره لا يجاوز الثلاثين؛ وكان في بلده فُسَّاق وفُجَّار يتواصون على إفساد الناس، تواصوا على إفساد الربيع، فجاؤوا بأجمل امرأة عندهم، وقالوا: هذه ألف دينار، قالت: علام؟ قالوا: على قُبْلة واحدة من الربيع، قالت: ولكم فوق ذلك أن يزني، ثم ذهبت وتعرَّضت له في ساعة خلوة، وأبدت مفاتنها، ووقفت أمامه، فلما رآها صرخ فيها قائلاً: يا أمة الله، كيف بك إذا نزل ملك الموت، فقطع منك حبل الوتين؟! أم كيف بك يوم يسألك منكر ونكير؟! أم كيف بك يوم تقفين بين يدي الربِّ العظيم؟! أم كيف بك إن لم تتوبي يوم تُرمَيْن في الجحيم؟! فصرخت وولَّت هاربة تائبة عابدة عائدة إلى الله - عز وجل- تقوم من ليلها ما تقوم، وتصوم من أيامها ما تصوم، فلقِّبت بعد ذلك بعابدة الكوفة، وكان هؤلاء المفسدون يقولون: أردنا أن تفسد الربيع فأفسدها الربيع علينا.
الخطبة الأولى.

<u>من فوائد غض البصر:</u>

١- الأمن من عقاب الله في الدنيا والآخرة: حب عن عبد الله بن المغفل أن رجلا لقي امرأة كانت بغيا في الجاهلية فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها فقالت مه فإن الله قد أذهب بالشرك وجاء بالإسلام فتركها وولى فجعل يلتفت خلفه وينظر إليها حتى أصاب وجهه حائطا ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم والدم يسيل على وجهه فأخبره بالأمر فقال صلى الله عليه وسلم: "أنت عبد أراد الله بك خيرا" ثم قال: "إن الله جل وعلا إذا أراد بعبد خيرا عجل عقوبة ذنبه وإذا أراد بعبد شرا أمسك عليه ذنبه حتى يوافي يوم القيامة كأنه عائر" وفي بعض الروايات "عير" وهو جبل شبه كثرة ذنوبه كأنها جبل حسن لغيره.
٢-السلامة من فتنة النساء:
قال سبحانه وتعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} [آل عمران:١٤] فقدم سبحانه وتعالى على رءوس هذه الفتن كلها فتنة النساء لعراقتهن في هذا الباب؛ ولأن أكثر الرجال إنما دخل عليهم الخلل من قبل هذه الشهوة
عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء).
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان)
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء).
حم م عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدنيا فقال : إن الدنيا خضرة حلوة ، فاتقوها واتقوا النساء ، ثم ذكر نسوة ثلاثا من بني إسرائيل : امرأتين طويلتين تعرفان ، وامرأة قصيرة لا تعرف ، فاتخذت رجلين من خشب ، وصاغت خاتما ، فحشته من أطيب الطيب المسك ، وجعلت له غلقا ، فإذا مرت بالملإ أو بالمجلس ، قالت به : ففتحته ، ففاح ريحه"
كان هناك عابداً في صومعة له مشهوراً بالعبادة ومشهوراً بالزهادة يستشفي بدعائه المرضى وإذا عرض بأحد مرض أو جنون حمل إلى صومعته ليدعو له ليبرأ فمرضت ابنة بعض كبراء البلدة ذات جمال فجاءوا بها ومضوا فلما خلا بها نظر إليها فأعجبته فواقعها فحملت منه فجاءه الشيطان الذي أغراه حتى نظر إليها وأمّنه الفتنة حتى خلا بها فقال له: اقتلها وادفنها في جانب الصومعة فإذا جاءوا يطلبونها تقول: ماتت فيقبلوا قولك لموضعك عندهم وإلا أتوا فرأوها حُبلى منك فتفضح وربما قتلوك فقبل منه وقتلها ودفنها فلما جاء أهلها أخبرهم بموتها وأنه دفنها فصدقوا قوله ومضوا. فمضى الشيطان إلى إخوتها وأخبرهم بخبر العابد وفعله بأختهم وقتله لها وقال: علامة ذلك دفنها في الموضع الفلاني من صومعته فجاءوا إلى العابد ودخلوا الصومعة

ونبشوا الموضع فوجدوا ابنتهم فأخذوا العابد ليصلبوه فلما رقي به الخشبة ليصلب أتاه الشيطان فقال له أعلمت أني فعلت بك هذا كله وأنا أقدر أن أخلصك مما أنت فيه ؟ فقال: افعل قال: بشرط أن تسجد لي سجدة واحدة وأُخلصك فسجد له فكفر بها وصلب فولّى الشيطان عنه يقول: إني بريء منك.

٣- أنه يورث القلب نورا وإشراقا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه ولهذا والله أعلم ذكر الله سبحانه آية النور في قوله تعالى {الله نور السموات والأرض} عقيب قوله {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم}.